

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمْ" وحديث عائشة - رضي الله عنها -  
"أَوْ أَمْلِكْ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ؟"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: (قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي وعنه الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم<sup>(١)</sup>) متفق عليه.

الفالنبي -صلى الله عليه وسلم- مجبول على الشفقة والحنو والرحمة واللطف والإحسان، وقد وصف الله -عز وجل- نبيه -صلى الله عليه وسلم- في مواضع في القرآن مما يدل على هذا المعنى وتحقق هذا الوصف، **{فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظًا الْقُلُبَ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ}** [[آل عمران: ۱۹۵]]، والله -عز وجل- يقول: **{إِنَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ}** [[التوبه: ۱۲۸]]، وكان بمنتهى الرأفة والرحمة، كان -صلى الله عليه وسلم- يشق عليه كفر من كفر، وإعراض من أعراض، ولهذا قال الله -عز وجل- له مواسياً **{فَلَعِلَّكَ بَاخْرُجُ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا}** [[الكهف: ۶]]، أي أنك تهلك نفسك متأسفاً على كفرهم وإعراضهم، دعهم الله -عز وجل- يتولى عباده، لا تتبع نفسك من أجل كفر هؤلاء الذين كفروا، ولا تحمل نفسك أعباءً من الأحزان بسبب إعراض من أعرض عن الله -سبحانه وتعالى- ودينه الحق، فالمقصود أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان رحيمًا -عليه الصلاة و السلام-، فعن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال: **((أَتَيْنَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ شَبَّيْهُ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقْفَنَا عَنْهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا -أَوْ قَدْ اشْتَقَنَا- سَأَلْنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: "أَرْجِعُوكُمْ إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوكُمْ فِيهِمْ، وَعَلَمُوهُمْ وَمُرْوُهُمْ...))** <sup>(۲)</sup>، ولما مات صبي لإحدى بنات النبي

١- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتنبيله ومعانقته، (٨/٧)، برقم: (٥٩٩٦) ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته -صلي الله عليه وسلم- الصبيان والعياال وتواضعه وفضل ذلك، (٤/١٨٠٨)، برقم: (٢٣١٨).

٢ - أخرجه البخاري، كتاب أخبار الأحاديث، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلوة والصوم والفرائض والأحكام، (٨٦/٩)، برقم: (٧٢٤٦)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمام، (٤٦٥/١)، برقم: (٦٧٤).

-صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (فَفَعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقْعُدُ كَأْنَهَا فِي شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عَبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عَبَادِ الرَّحْمَاءِ) <sup>(٣)</sup>.

فالمعنى أن النبي -صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من رحمته وشفقته أنه كان يقبل الصبيان، وهذا مشهد كان أمام رجل من الأعراب، قبل النبي -صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحسن بن علي وكان صغيراً.

وهؤلاء الصغار تؤثر فيهم القبلة نهاية التأثير، ولكن الإنسان حينما يكون جافاً قد لا يشعر بمشاعر الآخرين، بل يظن أن هؤلاء الأطفال لا يفهمون ولا يميزون ولا يدركون وليس عندهم شعور وإحساس، فيعاملهم أحياناً كأنهم حشرات، يتحدث بعبارات جارحة تدل على احتقار لهم، وإذا هموا بالجلوس على مائدة أو نحو ذلك أبعدوا بطريقة تجرح مشاعرهم، وهم يميزون ويعرفون الذي يحتقرهم والآخر الذي يرعاهم، ويعرفون الذي يؤانسهم ويتحدث معهم ويضاحكهم ولا ينسون له ذلك أبداً، وإذا أردتم أن تعرفوا هذا أرجعوا الشريط إلى الوراء، تذكروا حينما كنتم أطفالاً في سن التمييز وقبل سن التمييز، من الذي كان إذا جاء لا يخلو جيده من حلوى مع ابتسامة ومؤانسة وملائفة، نذكره إلى هذه الساعة، ومن هو الجار الذي كان يزجينا ويغليظ علينا فحن لو رأيناه اليوم لتحاشيناه، من هو القريب الذي كان يعاملنا بشيء من الفظاظة والغلظة والاحتقار، ومن هو الآخر الذي كان يدافع عنا ويطلب منا المجيء والجلوس، ويعيد لنا شيئاً من الثقة بنفسنا، ويقول للواحد منا: أنت رجل بمعنى الكلمة، أو نحو ذلك.

فنحن حينما نتعامل مع هؤلاء الصغار ينبغي أن يكون هناك حنو ورحمة وشفقة، وإن فلن هؤلاء ستؤثر فيهم المعاملة القاسية، ولربما يرثون في أحضان الأشجار من شياطين الإنس والجن فيتلاعبون بهم، وكثير من الذين يقعون في الانحرافات من الفتيات ومن الشباب غالب هؤلاء إنما وقعوا فيها بسبب القسوة التي يجدونها في بيئتهم، المعاملة الفظة الشديدة، المعاملة التي لا يجدون فيها الرحمة وسماع المشكلات، والجلوس معهم، حتى لو كان الإنسان جاداً في تربيتهم وتعليمهم فإنه لربما كرر ذلك عليهم كثيراً، حتى ينفرهم ويكرههم بهذه المعاني الطيبة التي يدعوهـ إليها والعلم الذي يريد منهم أن يتعلموه أو حفظ القرآن أو غير ذلك، لأنـه يأتي به لطماً بالوجه مرة بعد مرة في كل وقت من غير ترويج، من غير تنفيـس، وهم بحاجة إلى لعب، بحاجة إلى مساحة، إلى هامش يتحركون فيهـ، بحاجة إلى أن يعبروا عن أنفسـهمـ، لكنـ حينـماـ يكونـ هذاـ الطـفلـ كلـماـ تـكلـمـ أـهـيـنـ، حتـىـ إـذـاـ صـرـخـ فـيـ الـبـيـتـ هوـ يـرـيدـ أـنـ يـثـبـتـ وـجـودـهـ، هـنـاكـ سـقـفـ لـلـوـلـدـ رـقـمـ اـثـنـيـنـ لـأـنـهـ يـشـعـرـ أـنـ أـخـاهـ الـأـكـبـرـ مـنـهـ هوـ الـذـيـ يـفـرـضـ نـفـسـهـ، فـالـأـخـ الـذـيـ بـعـدـ يـشـعـرـ أـنـ لـيـسـ طـفـلاًـ، وـلـاـ يـسـتـطـعـ أـيـضاًـ أـنـ يـبـرـزـ وـأـنـ يـرـفـعـ رـأـسـهـ لـأـنـ أـخـ الـأـكـبـرـ قدـ بـلـغـ فـيـ الـمـجـدـ ذـرـوـتـهـ، ثـمـ يـفـاجـأـ بـالـكـبـتـ وـالـإـذـلـلـ وـالـتـحـقـيرـ وـالـإـهـانـةـ فـيـ حـصـلـ لـهـ عـكـسـ مـقـصـودـهـ تـمامـاًـ، وـلـكـ إـذـاـ عـالـمـتـهـ بـرـحـمـةـ سـيـحـبـونـكـ وـيـحـبـونـ الـمعـانـيـ الـتـيـ تـقـولـهـاـ، وـسـيـقـلـوـنـ عـلـيـكـ، وـيـقـوـنـ بـكـ تـمامـاًـ.

٣ - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله -سبحانه وتعالى:- **{فَلَمْ يَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}** [الإسراء: ١٠، ٩/١١٥]، برقم: (٧٣٧٧)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، (٢/٦٣٥)، برقم: (٩٢٣).

فالقصوة تخرج شخصيات مهزوزة، لا يتقون بأنفسهم، بل يشعر أحدهم أنه إذا تكلم عند الرجال أو في المجلس سيهان أو يعاب، لأنه متused في البيت أنه لا يتكلم، ولا يستطيع أن يحضر مجامع الرجال، ولا يجلس معهم، ولا يتحدث معهم.

فقال الأقرع بن حابس: ((إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً))، فنظر النبي -صلى الله عليه وسلم- إليه...

والأقرع بن حابس -رضي الله عنه- هو فراس، وقيل له: الأقرع لقرع كان في رأسه، وهو سيد من سادات تميم -رضي الله تعالى عنه-، وتميم لهم مناقب، ولهم مزايا، ولهم أوصاف ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وأبو هريرة يقول: أحب تميماً لثلاث، ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم أشد الأمة على الدجال، ولما جاءه بسباياهم أو كانت عند إحدى أمهات المؤمنين جارية من تميم قال: أعتقها فإنها من ولد إسماعيل، وأيضاً المزية الثالثة لهم هي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاءت صدقات تميم قال ((هذه صدقات قومي))<sup>(٤)</sup>، لكن الكمال لله -عز وجل-، فهم أقرب في ذلك الوقت إلى طبع الbadia، أو التربية الصحراوية كما يقال، هذا يؤثر، ما اعتاد محبة الطفل، والمسح على رأسه، الحياة عندهم فيها شيء من القسوة.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من لا يرحم لا يُرحم))، من لا يرحم الناس لا يرحمه الله -عز وجل-، لأن الجزاء من جنس العمل.

والحديث الآخر حديث يشبهه ((عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟، فقالوا: نعم، فقالوا: لكن والله ما نقبل، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة؟، وقال ابن نمير: من قلبك الرحمة))<sup>(٥)</sup>.

وبعض أهل العلم يقول: هم قوم الأقرع من بنى تميم، وبعضهم يقول: هو عبيدة بن حصن، يعني: واقعة ثانية ليست الواقعة نفسها.

فالإنسان يرحم الصغار، ويشفع عليهم ويعطف عليهم، وهم برآء ليس عندهم ذنب، وصوتهم يملأ الدنيا بهجة، وانظروا إلى المرأة التي لم تتجبر ليس لها أمنية في الدنيا إلا أن تسمع ضجيج الأطفال يملأ بيتها، ألم تروا كيف يتحسر من ليس له أولاد؟!.

وآخرون لديهمأطفال يعاملونهم بمنتهى القسوة، ويدعون عليهم، فهذا لم يشكر هذه النعمة، ولم يقم عليهم بما أمر الله به، ((كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته))<sup>(٦)</sup>.

٤ - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٠٩٥ / ٢)، برقم: (٢٢٨٢).

٥ - أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته -صلى الله عليه وسلم- الصبيان والعياش وتواضعه وفضل ذلك، (٤ / ١٨٠٨)، برقم: (٢٣١٧).

٦ - أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الجمعة في القرى والمدن، (٥ / ٨٩٣)، برقم: (٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائز، والحمد على الرفق بالرعاية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٣ / ١٤٥٩)، برقم: (١٤٥٩)، بلفظ: ((ألا كلام راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته)).

فالشارع أمرنا بتربية الأطفال، هذا كلام المصطفى -صلى الله عليه وسلم.